الفكاهة في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي

د. غزية الثبيتي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية في جامعة شقراء

المقدمة:

حفل تراثنا العربي بالكثير من المؤلفات النثرية والمصنفات الأدبية التي ارتكزت على جانب كبير من الفكاهة والمرح، وتعد الفكاهة ظاهرة فنية حظيت باهتمام الأدباء والنقاد مدركين أثرها الفاعل في المتلقي، وما تثيره في نفس قارئها من متعة ومرح، فضلا عن دورها في التهذيب والإصلاح، وقد سار الأدب الفكاهي مع الأدب الجاد جنبا إلى جنب بما ينطوي عليه من مضامين ودلالات تفتح المجال واسعا لمختلف الدراسات الأدبية والاجتماعية والسياسية.

وتتمثّل مشكلة البحث الرئيسة في تهميش الأدب الفكاهي في التراث العربي، بالرغم من ارتكازه على مجموعة من البنى العميقة التي تجعله متجذّرًا في كثير من الجوانب الاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة للمجتمع العربي في عصور وبيئات محدّدة، ومن ثمّ يرقى ليزاحم نظيره الجدي غير الفكاهي في التأسيس لإبداع أدبي متكامل الأركان يجمع بين الجد والهزل، بما يتّسق مع الحياة ذاتها.

وتتجلّى هذه المشكلة البحثية في تساؤلين رئيسين، سوف يسعى البحث إلى الإجابة عنهما، من خلال مباحثه الأربعة، وهما: هل ثمّة إبداع فنّي يميّز الفكاهة عن غيرها من الأنماط الأدبية في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي؟، وهل ثمّة خصوصيّة للنصّ الفكاهي عند ابن الجوزي؟ وما مظاهر هذه الخصوصيّة؟

ومن أهم أهداف البحث: التوصل إلى أغراض الفكاهة وأساليبها، ورصد نماذج الشخصية القصصية الفكاهية، وتحديد أشكال النص الفكاهي، وتحليل خصائص النص الفكاهي.

- منهج البحث:

يتوسل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي، انطلاقا من النص ذاته مع الاستعانة بكل ما يسهم في إضاءته من خلال استعراض النصوص وقراءتها وتأويلها، واستنباط النتائج والدلالات، فالمنهج المتبع يرتكز على قراءة النصوص وتحليلها من خلال كل ما يتماس معها بصورة أو بأخرى، كالظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والدينية التي أحاطت بتأليف هذا الكتاب، ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مباحث يسبقها تمهيد يتناول: ماهية الفكاهة وارتباطها بالإنسان، ونبذة عن ابن الجوزي وإبداعاته الفكاهية، وهذه المباحث هي: أغراض الفكاهة وأساليبها عند ابن الجوزي – نماذج الشخصية القصصية في النص الفكاهي – أشكال النص الفكاهي – خصائص النص الفكاهي.

*****

التمهيد:

- ماهية الفكاهة وارتباطها بالإنسان.

عرّف ابن منظور الفكاهة بقوله: "الفكه هو الذي ينال من أعراض الناس، ورجل فكه يأكل الفاكهة، والفاكهة أيضا الحلواء على التشبيه، وفكههم يلمح الكلام أطرفهم، وهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا والفاكه المزاح وفاكهت مازحت"[١]، فمعنى الفكاهة عند ابن منظور هو المزاح، أما من حيث الاصطلاح فقد اختلف الباحثون في وضع تعريف دقيق للفكاهة، ذلك لتماسها مع أنواع متعددة تشترك معها.

والفكاهة عامة هي" تلك الصيغة في العمل أو الكلام أو في الموقف التي تثير الضحك لدى القراء والمشاهدين"[٢]. وهي "طرفة أو نادرة أو ملحة أو نكتة أو حكاية موجزة يسرد فيها الراوي حادثا واقعيا أو متخيلا فيثير إعجاب السامعين"[٣].

---

[١] لسان العرب، ج٤، مادة (فكه)، دار صادر، ط.٤، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٥١.

[٢] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط.٢، ١٩٨٤م، ص١٥٣.

[٣] المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط.٢، ١٩٨٤م، ص١٩٤.

إذن فالفكاهة تشير إلى معاني الضحك والمزاح، وهي: "قدرة عقلية وروحية تستطيع أن تكشف هذه العناصر المضحكة المتناقضة في الأقوال والأفعال والحركات والمواقف وتتجاوب معها وتعبر عنها ضحكا أو ابتسامة أو رضا روحيا"[١].
وللفكاهة تمظهرات متعددة كالمزاح، والدعابة، والتهكم، والهزل والسخرية والطرف والملح، تتبع كلها من أصل واحد وهو الضحك، وإن اختلفت الفروقات بينها.

وترتبط الفكاهة بالإنسان ارتباطا وثيقا، وتبدو حاجته إليها من الأهمية بما ينعكس عليها وعلى اهتمام المبدعين والمتلقين بها على حد سواء، وفي شتى المجتمعات والعصور، لما تنضوي عليه من قيم ورموز وآثار، تجعل منها أداة ناجعة للإسهام في تعزيز جوانب نفسية واجتماعية وثقافية، وربما إرشادية وتقويمية في المجتمع؛ لذا نجد كثير من المبدعين والعلماء يبدعون في إطارها، ويفردون المؤلفات لها؛ مما يؤكد وعيهم بأهمية الفكاهة لتحقيق إيجابيات متنوعة في مجتمعاتهم، إضافة إلى حاجة الإنسان الفطرية للضحك والترويح عن النفس.
ومن هؤلاء المبدعين ابن الجوزي الذي أبدع ثلاثة كتب حول النصوص الفكاهية، وهي: أخبار الأذكياء، وأخبار الظراف والمتماجنين، وأخبار الحمقى والمغفلين، ومع توظيف ابن الجوزي مصطلح (خبر) دون غيره من المصطلحات الأخرى التي أطلقت ممن ألّف في الجانب الفكاهي الهزلي؛ إذ عنون كتبه الثلاثة حول الفكاهة به، فإن مقدمات هذه الكتب تشير إلى أنه قد استخدم كلمة (خبر) للدلالة على النصوص الفكاهية الهزلية، والتي أختلف حول مصطلحاتها قديما بصورة لافتة، ومن هذه المصطلحات: الطرفة، والملحة، والحكاية، والنادرة، ومما يؤكد هذا الرأي قوله في مقدمة كتابه الرائد (أخبار الحمقى والمغفلين): "قلت وما زال العلماء والأفاضل يعجبهم **الملح** ويهشون لها؛ لأنها تجم النفس وتريح القلب من كد الفكر..."، ويروي أن "الأصمعي قال سمعت الرشيد يقول: **النوادر** تشحذ الأذهان وتفتق الآذان "، كما يقول: " فإن

[١] الفكاهة عند العرب، أنيس فريحة، مكتبة رأس بيروت، بيروت، ط.١، ١٩٩٢م، ص١٥.

قال قائل ذكر **حكايات** الحمقى والمغفلين يوجب الضحك..."[١]، فقد استخدم مصطلحات (الملح، والنوادر، والحكايات) للدلالة على النصوص الفكاهية التي تسبب الضحك والترويح عن النفس، مرتكزا على التنوّع الأسلوبي والمضموني في نصوصه الفكاهية الإبداعية.

ويعد الضحك ظاهرة إنسانية اختص بها الإنسان دون غيره، فلا مضحك إلا فيما هو إنساني[٢]، وللضحك فوائد إيجابية لصحة الإنسان؛ إذ إنه "يعمل على تنشيط الجهاز المناعي، والحد من الشيخوخة، والتقليل من احتمالات الإصابة بالأزمات القلبية، وتحسين الوضع النفسي والجسمي للإنسان بشكل عام، بما يجعله أكثر تفاؤلا وأكثر إقبالا على العمل وعلى الحياة بشكل عام"[٣].

ويقترب مفهوم الفكاهة من السخرية، "وكثيرا ما يخلط الناس بينهما ولا يكادون يفرقون بينهما حين يشملهم الجو المرح الضاحك، وتنبعث من أفواههم النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب، وحينئذ فهي الفكاهة، وقد تكون بقصد اللذع والإيلام فهي سخرية، وقد تجمع بين الغرضين"[٤].

وللفكاهة أهمية كبيرة في حياة الناس، فهي توجد الصلة فيما بينهم، وتجعلهم يحافظون على تقاليدهم وأوضاعهم الاجتماعية، وتربي فيهم ملكة النقد، وتوقظ فيهم التنبه إلى أخطائهم[٥]، كما يذهب المؤلفون المسلمون إلى أن الفكاهة تكاد تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها؛ حيث لا يحتمل الجد المتواصل، ومن هنا ابتدأ الإخباريون بنقل الفكاهة وحكاياتها منذ الصدر الأول للإسلام، متتبعين شخصياتها البارزة[٦].

---

[١] أخبار الحمقى والمغفلين، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط.١، ١٩٩٠م، ص٤، ٥، ٦، وسوف نحيل لاحقا إلى صفحات الكتاب داخل متن البحث.

[٢] ينظر: الضحك، هنري برغسون، ترجمة سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٦.

[٣] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، د. ط، عالم المعرفة ، الكويت، ٢٠٠٣م، ص٨.

[٤] السخرية في الأدب العربي، نعمان طه، دار التوفيقية، مصر، ط.١، ١٣٩٨هـ ص٩.

[٥] ينظر: الفكاهة في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط.٣، ١٩٤٣م، ص١٥.

[٦] ينظر: الفكاهة في الأدب العباسي، وديعة النجم طه، مجلة عالم الفكر، مج١٣،ع٣، ١٩٨٢م، ص١٤.

ويزخر التراث العربي بالعديد من المؤلفات التي تولي عناية بالغة بالفكاهة؛ فقد دوّن الجاحظ العديد من القصص الفكاهية في مؤلفاته كـ(البخلاء)، و(البيان والتبيين)، وكذلك القيرواني في كتابه (جمع الجواهر في الحلل والنوادر)، والبغدادي في كتابه (التطفيل وحكايات الطفيليين)، والآبي في (نثر الدر)، وابن قتيبة الدينوري في (عيون الأخبار)، وابن دريد الأزدي في أحاديثه وأخباره، مثل كتابه (الفوائد والأخبار)، والتوحيدي في (الإمتاع والمؤانسة)...، وغيرها من الكتب التراثية.

- نبذة عن ابن الجوزي وإبداعاته الفكاهية:

أبو الفرج ابن الجوزي هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، الواعظ يعود نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق، ولد في بغداد سنة ثمان أو سنة عشر وخمسمائة، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة، لقب جده بالجوزي لجوزة في داره بواسط، ولم يكن بواسط جوزة غيرها[١].

ولابن الجوزي عدد من المصنفات الفكاهية أبرزها كتب: أخبار الظراف والمتماجنين، والقصاص والمذكرين، وأخبار الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، وقد عرض ابن الجوزي في كتابه أخبار الحمقى والمغفلين لموضوع الحمق والتغفيل لدى فئات المجتمع، وذكر الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب، وامتاز بجودة التبويب والتصنيف.

ومع اعتناء ابن الجوزي بسرد الأخبار والنوادر الفكاهية في كتبه السابقة الذكر إلا أنه لم يضع للفكاهة والظرف أصولا وقواعد، بل ألمّ بأخبارهم على اختلاف طبقاتهم، وذكر كثيرا من حوادثهم وملحهم[٢].

إلا إننا لا نعدم تعليقات له، خصوصا أن بعض المواقف الفكاهية كان حاضرا فيها وشاهدا عليها بنفسه، فنقلها لنا بأسلوبه، كما أشار صراحة أو إلماحا. وقد قسم ابن الجوزي كتابه (أخبار الحمقى والمغفلين) إلى أربعة وعشرين بابا، تناول في الأبواب التسعة الأولى منها بعض

---

[١] ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط.٥، ٢٠٠٠م، ص٣- ٣١٦، الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل، تحقيق: أحمد الأوناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٨-١٠٩ وما بعدها.

[٢] ينظر: الفكاهة في الأدب، أحمد الحوفي، ص٢٢.

الموضوعات المتعلقة بالحمقى والمغفلين، منها: معنى الحماقة واختلاف الناس فيها، وأسماء الأحمق، وصفاته، والتحذير من صحبته، يلي ذلك خمسة عشر بابا، يختص كل باب منها بفئة خاصة من الحمقى والمغفلين وأخبارهم، وهم: القراء، ورواة الحديث، والقضاة، والأمراء والولاة، والكتاب والحجاب، والمؤذنون، والأئمة، والأعراب، ومن قصد الفصاحة والإعراب من المغفلين، ومن قال شعرا من المغفلين، والقصاص، والمتزهدون، والمعلمون، والحاكة، والمغفلون على الإطلاق.

المبحث الأول: أغراض الفكاهة وأساليبها عند ابن الجوزي:

أولا: أغراض الفكاهة: تعددت أغراض الفكاهة في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)، ومن أهمها الإضحاك، والوعظ، وإصلاح المجتمع.

(١) الإضحاك:

تميل النفس الإنسانية بطبيعتها إلى الاستئناس والفرح، فتجد في الفكاهة ما يفي بهذه الحاجة ويشبعها، وفي ذلك يقول أبو حيان التوحيدي" كذلك النفس إذا ملّت طلبت الروح، وكما لابد للبدن أن يستمد ويستفيد بالجمام الذاهب بالحركة الجالبة للنصب والضجر كذلك لابد للنفس من أن تطلب الروح عند تكاثف العمل الداعي إلى الحرج"[(١)].

وإلى ذلك أيضا أشار ابن الجوزي قائلا" وما زال العلماء تعجبهم الملح ويهشون لها لأنها تجم النفس وتريح القلب من كد الفكر"(ص١٧).

وجعل ابن الجوزي هذا الغرض من الفكاهة هدفا من أهداف تأليفه الكتاب، فقال: "أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظا يوم القسمة، فإن النفس قد تمل من الدؤوب في الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنظلة: "ساعة وساعة"(ص١٤).

وتنضوي النصوص الفكاهية على جانب كبير من الإضحاك والمتعة، وتلك طبيعة العمل الفكاهي فـ"العمل الأدبي الفكاهي له أغراضه التي تنبع من طبيعة الفكاهة من إيناس وإمتاع

[(١)] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ج١، ١٩٩٧م، ص٢٧.

وإضحاك"[١].

وقد كشف ابن الجوزي أفكار هذه الفئة من الناس، وهم الحمقى والمغفلين، واتخذ من أفكارهم وأقوالهم وسلوكهم مادة فكاهاته، تبعث التسلية والمرح في نفس قارئها؛ فهم يستجيبون للعالم من خلال الدهشة، ويتصرفون بشكل غير مألوف، يصل أحيانا إلى حد العبث واللا معقولية، فهم يسلمون وعيهم وإدراكهم إلى قوى غير منظورة، ومجهولة بالنسبة إليهم، ويتصرفون كما لو كانوا واقعين في قبضتها، وتحت أسرها، ومن ثم يقومون بسلوكيات مفاجئة تثير الضحك لدينا، فهم ينتهكون النظام الاجتماعي القائم ويتجاوزون معاييره، ومن ثم يحدثون الضحك[٢].

فنجده مثلا يسفر عن طريقة تفكير الحمقى والمغفلين بطريقة مضحكة يقصد منها التسلية والدعابة يقول: "قيل لمغفل قد سرق حمارك، فقال: الحمد لله الذي ما كنت عليه"(ص١٧٩)، فعكس رد المغفل طريقة تفكيره ونظرته للأمور.

وكذلك تصرفاتهم وسلوكهم: "ذكر أن بعضهم رأى مؤذنا يؤذن ثم عدا، فقال له: إلى أين؟ فقال: أحب أن أعرف أين يبلغ صوتي"(ص١١٨).

وكذلك أن "جحا سمع قائلا يقول: ما أحسن القمر، فقال: أي والله وخاصة في الليل"(ص٤٩)، فيبدو أن هذه الفكاهات تهدف إلى الإضحاك وإن اختلفت درجة تلقيها والمتعة بها من شخص لآخر.

(٢) الوعظ:

يعد الوعظ بابا من أبواب الدعوة إلى الله، والتذكير بحقيقة الدنيا، وحث الناس على طاعة الله، ولم تكن الفكاهة عند ابن الجوزي للإضحاك والترويح عن النفس فحسب، بل حرص ابن الجوزي من خلالها وهو عالم دين على الوعظ والتذكير فغالبا ما نجد في نصوصه هذا الدافع الديني، وقد صرح به في مقدمة مؤلفه عند ذكره الأسباب التي حملته لتأليف هذا الكتاب، قائلا "أن العاقل إذا سمع أخبارهم وعرف قدر ما وهبه له مما حرموه فحثه ذلك على الشكر"(ص١٣).

---

[١] الأدب الفكاهي، عبد العزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط.١، القاهرة،١٩٩٢م، ص١٩.

[٢] ينظر: الفكاهة والضحك رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، ص٥٥.

ومن نماذج هذه الفكاهات ما ذكره عن جحا أنه مات جار له، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها، فسئل عنها، فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير"(ص٤٨).

وتكمن الفكاهة في تصرف جحا المفاجئ وغير المتوقع؛ مما أثار الضحك والفكاهة؛ فأراد أن يوفر ثمن الحفار، فاشترى بدلا عن ذلك خشبة يصلب فيها جاره الميت، ويرى بذلك أنه يربح وفي الوقت نفسه يريح الميت من ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير، والفكاهة هنا تحمل هدفا وعظيًّا أراد من خلالها ابن الجوزي تذكير الناس ووعظهم بتذكر الموت والقبر وسؤال الملكين.

كما يعظ ابن الجوزي في فكاهاته بالمبادرة بالتوبة يتجلى ذلك في قوله عن جحا: وهبّت ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون، فصاح جحا: يا قوم، لا تعجلوا بالتوبة، وإنما هي زوبعة وتسكن(ص٤٨).

تحمل هذه الفكاهة إشارة وعظية تدعو إلى الإسراع في التوبة والإقبال على الله، وما هذا الصائح بعدم تعجيل التوبة إلا إشارة إلى النفس البشرية التي تركن إلى الدنيا وتسوف التوبة، فأراد ابن الجوزي أن يذكر بالتوبة، ويحذر من الغفلة.

ولعل من أبرز المعاني التي سعى ابن الجوزي إلى ترسيخها في أذهان الناس عن طريق الفكاهة هو ضرورة العلم والفقه بالدين؛ فقد نشأ في العصر العباسي طبقة من القراء والمحدثين والوعاظ ما لبثت بمرور الزمن أن أصبحت محترفة للعلوم الدينية والقرآنية ترتزق منها، وتكسب عيشها، فكان دخول أعداد كبيرة من الناس المتكسبين بهذه الدراسات صنيعا على العلم نفسه وداعيا من دواعي السخرية التي تعرضت لها شخصيات كثيرة اتخذت العلم ارتزاقا والوعظ طريقا للكسب[١]. ولذلك دائما ما نجده يعرّض بالجهل بالدين، ويكشف اللثام عن أقصى ما وصل إليه الجهل عند فئة تدعي العلم بالدين وهي أبعد ما تكون عنه، وقد خصهم ابن الجوزي في كتابه وهم الأئمة والقراء والقضاة، ومن ذلك قوله عن أحدهم أنه قرأ قراءة عثمان بن أبي شيبة:

[١] ينظر: الفكاهة في الأدب العباسي، وديعة النجم طه، ص٢٣.

"فضرب بينهم سنور له ناب"، فقيل له: إنما هو "بسور له باب"، فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة، قراءة حمزة عندنا بدعة(ص٧٧).

كما يصل الجهل إلى خلط القرآن بالشعر، وذلك أن رجلا قدّم ابنا له إلى القاضي: ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال: يقول غير الصحيح، إني أصلي ولا أشرب الخمر، فقال أبوه: أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي: يا غلام تقرأ شيئا من القرآن؟ قال: نعم وأجيد القراءة، قال: اقرأ، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم:

علق القلب ربابا بعد ما شابت وشابا

إن دين الله حق لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه: والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة، لأنه سرق مصحفا من بعض جيراننا، فقال القاضي: قبحكم الله، أحدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به(ص٨٧-٧٩).

وتكمن المفارقة هنا في أن خلط القرآن بالشعر قد تجاوز الابن إلى أبيه، بل وأبعد من ذلك إلى القاضي نفسه الذي احتكم إليه الأب، فقال: قبحكم الله أحدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به مما يكشف جهل القاضي بآيات الله والذي يجب أن يكون على علم به.

ومن الشواهد الفكاهية المحمّلة بالوعظ، ما أورده ابن الجوزي عن أهمية الصلاة من خلال التنبيه إلى تصرفات حمقاء تصدر من بعض الأئمة، وذلك أن إماما صلّى فلما قرأ الحمد افتتح بسورة يوسف، فانصرف القوم وتركوه، فلما أحس بانصرافهم قال: سبحان الله! {قل هو الله أحد} فرجعوا وصلوا معه(ص١٢٠).

فهذا النص ينبئ عن جهل الإمام في رعايته لحال المأمومين، وجهل المأمومين كذلك؛ لانصرافهم عن الصلاة عندما علموا بإطالة الإمام، وعودتهم بعد ذلك حين سمعوا الإمام يقرأ سورة الإخلاص، مما يوحي باستهتارهم بالركن الثاني من أركان الإسلام، حيث يُنصرف عنه بسبب إطالة الإمام.

(٣) إصلاح المجتمع:

تعد الفكاهة وسيلة من وسائل "التقويم والتهذيب والإصلاح بنقد أنواع النقص أو القبح أو الخروج عن المألوف"[١]، ولقد اهتم ابن الجوزي بمشكلات مجتمعه وتلمس مواطن الخلل فيها سعيا لإصلاحها وتقويمها من خلال نصوصه الفكاهية التي تخفي وراءها تحسرا على ما وصل إليه عصره من جهل وفساد.

حيث سعت الفكاهة في كتابه إلى "تعرية الكثير من الأنماط البشرية في مجتمعه الذي انتشر فيه الحمقى والمغفلون وتغلغلوا في طبقات ينبغي لها أن تكون بمنأى عن الحمق والتغفيل، كالقراء، ورواة الحديث، والأمراء، والولاة، والكتاب، والحجاب، والمؤذنين، والأئمة، وغيرهم"[٢].

وذلك أن المجتمع قلما برئ من عيوب يضيق بها أكثر الناس، وهم لا يستطيعون أن يحبسوا ضيقهم، ولا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقاوموا هذه العيوب مقاومة مادية، لأنها ليست عدوانا عليهم، ولا هي جرائم يعاقب عليها القانون، أو أن القانون عاجز عن القضاء عليها لخفائها، أو لنفوذ أصحابها، وفي هذه الحالة لا مندوحة للساخطين من أن يُسرُّوا عن أنفسهم بالفكاهة والضحك[٣].

ومن ذلك ما أورده أن عبد الله بن أبي ثور والي المدينة، خطب الناس قائلا: أيها الناس، اتقوا الله وارجوا التوبة فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم. فسموه مقوم الناقة"(ص١٠٣)، وتمثل هذه الفكاهة نقدا اجتماعيا سياسيا واضحا فكشفت عن جهل الوالي وادعائه العلم بقيمة ناقة نبي الله صالح عليه السلام؛ مما يسفر عن جهل وغفلة من فئة يجب أن تكون بمنأى عن ذلك.

ومن ذلك أيضا ما أورده ابن الجوزي، قال: "قال ابن خلف: اختصم رجلان إلى بعض الولاة، فلم يحسن أن يقضي بينها، فضربهما وقال: الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما"(ص٩٩)، ولا يخفى ما تحمله هذه الفكاهة من ظلال سياسية تندد بغفلة الوالي وسذاجته حتى أنه لم يفرق

---

[١] الفكاهة في الأدب العربي، أحمد الحوفي، ص١١.

[٢] المكونات السردية للخبر الفكاهي (دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي)، عبد الله الغزالي، مجلة التراث العربي، ع ٩٠، ٢٠٠٣م، ص ١٩٥.

[٣] ينظر: الفكاهة في الأدب، أحمد الحوفي، ص٢٩٠.

بين الظالم والمظلوم في الحكم فيضربهما جميعا حتى لا يفوته الظالم منهما، في ادعاء لعدل مزيف.

ومن النصوص الفكاهية التي تهدف إلى إصلاح المجتمع وتسفر عمّا وصل إليه القضاء في عصر ابن الجوزي، حيث تولّى القضاء من ليسوا أهلا له، قال: "حدث عبد الرحمن بن مسهر قال: ولّاني القاضي أبو يوسف القضاء (بجبل) وبلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة، فسألت أهل جبل أن يثنوا علي فوعدوني أن يفعلوا ذلك وتفرقوا، فلما آيسوني من أنفسهم، سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له، فوافى وأبو يوسف في الحراقة، فقلت: يا أمير المؤمنين، نعم القاضي قاضي جبل، قد عدل فينا وفعل وصنع.. وجعلت أثني على نفسي، فرآني أبو يوسف، فطأطأ رأسه وضحك، فقال هارون: مم تضحك؟ فقال: إن المثني على نفسه هو القاضي، فضحك هارون حتى فحص برجليه، وقال: هذا شيخ سفيه سفلة فاعزله، فعزلني"(ص١٠٩).

وتبدو وظيفة الفكاهة في الكشف عن حمق القاضي وغفلته؛ حيث حرص على مدح نفسه أمام الحاكم، والثناء عليها، حتى لو كلفه الأمر أن يتنكر في شخصية أخرى؛ رغبة في الثناء على نفسه ليبدو في صورة مثالية أمام الرشيد حتى يدوم بقاؤه في القضاء، في موقف يجب أن ينأى عنه القاضي.

كما نالت فكاهة ابن الجوزي من خالف القيم والأعراف الاجتماعية؛ رغبة في الإصلاح، ومن ذلك قصة الأعمش وزوجته؛ إذ كان يأتيه رجل يقال له (أبو البلاد) فصيح يتكلم العربية، يطلب منه الحديث، فقال له: يا أبا البلاد نشزت عليّ وغمتني، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وقال: إن الله قد أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا، لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه. فغضب الأعمش عليه وقال: أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي، فأخرجه"(ص١٥٥).

ومن مخالفة القيم الاجتماعية "أن رجلا عاد عليلا فعزاهم فيه، فقالوا له أنه لم يمت، فقال يموت إن شاء الله"(ص١٥٨). وكذلك "أن عجوزا دخلت على قوم تعزيهم بميت، فرأت في الدار عليلا، فرجعت وقالت: أنا والله يشق عليّ المشي، وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضا"(ص١٧١).

ولعل الباعث على الضحك في هذه النصوص السابقة أن هذه الشخصيات خالفت أعراف المجتمع وعاداتهم بسبب حمقها وغفلتها فكان التصرف مفاجئا وغير متوقع، فالذي يصلح بين

الزوجين لا بد أن يستر العيوب لا أن يظهرها إلا أن المفارقة في أن أبا البلاد كشف للزوجة عيوب زوجها مما يمعن في تنفيرها، فضلا عن ترغيبها في الهدف الذي من أجله كلّم الأعمش أبا البلاد طلبا للصلح.

وكذلك فيمن يقدم التعزية في عليل لم يمت مخالفا بذلك عرفا من الأعراف الاجتماعية، وهي مراعاة شعور المريض وأهله كذلك الذين يترقبون شفاءه، وفي ذلك ضرب من المفارقة الموقفية عمد إليه ابن الجوزي لتجلية تلك النماذج وإصلاحها.

ومما سبق يتبن لنا أن سرد تلك المواقف الفكاهية يحمل نقدا اجتماعيا يروم إلى التهذيب والإصلاح، واستخدم ابن الجوزي لذلك الفكاهة لينقل لنا قضايا عصره الاجتماعية ومشكلاته، فجاءت فكاهاته محملة بالكثير من المضامين والدلالات.

*****

ثانيا: أساليب الفكاهة:

لم تستطع التجربة الإنسانية في إنتاج تشكلاتها المتعددة الخروج عن هذا الإطار العام: واقعي أو تخييلي أو تخيلي[١]، من ثم تراوحت أساليب الفكاهة عند ابن الجوزي بين أسلوبين، هما:

(١) التصوّر الواقعي:

الواقعي هو المنسوب إلى الواقع ويرادفه الحقيقي، وهو رؤية الأشياء كما هي عليه في الواقع أي في صورتها الحقيقية[٢]، فالواقع إذن هو" الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية كافة"[٣]، ويقصد بالتصور الواقعي نقل أحداث ووقائع وشخصيات موجودة فعلا في المجتمع، فالواقعي يرتبط بالتاريخ الذي يلزم نفسه تسجيل الحقائق والأحداث كما هي؛ لذا فإن كل ما عدا ذلك من إنتاجات سردية غير واقعية فهي تشبه الواقع[٤].

---

[١] ينظر: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، سعيد جبار، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط.١، ٢٠٠٤م، ص١٧٩.

[٢] ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج٢، ١٩٨٢م، ص ٥٥٢.

[٣] الرواية العربية بين الواقع والتخييل، رفيف رضا صيداوي، ط.١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، ص٩٩.

[٤] الخبر في السرد العربي، سعيد جبار، ص١٩٠.

أنتج ابن الجوزي فكاهاته بناء عن تصور واقعي معيش لفئات اجتماعية موجودة في المجتمع، فنقل لنا بعض المواقف الفكاهية خلال معاصرته لها في حياته، فصوّر لنا مثالب ونقائص مجتمعه في سياق واقعي متخيّل لمجموعة الحمقى والمغفلين من واقع الحياة ومن ظروف مجتمعه ومن فئاته جميعها، "فلم ينج من هذه الفكاهات أكثر هذه الفئات جدية ووقارا في المجتمع الإسلامي فالقضاة والفقهاء والمحدثون وأئمة المساجد والوعاظ كانوا هدفا للحكايات الفكه الساخرة"[١]، فكان الواقع بتفاصيله جميعها منبعا استمد منه ابن الجوزي نصوصه الفكاهية الإبداعية، ناسجا منها أنماط وأشكال متنوعة، بما يتسق مع تنوّع فئات المتلقين ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية.

ومن حيث أسلوب الفكاهة نجد أن ابن الجوزي لم يهتم كثيرا بالتأريخ لما أورده من أخبار فكاهية للحمقى والمغفلين، فقليلة هي النصوص المؤرخة عنهم إلا أنه اعتنى بالسند والمتن لها، إيهاما بواقعيتها، ومن ذلك ما أورده "عن علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: تقدم إلي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وأنا أتقلد القضاء بالأهواز في مجلس حكم، رجلان، ادعى أحدهما على الآخر دعوى، فسألته عنها فأنكرها، فطالبت المدعي ببينة فعدمها وطلب استحلاف الخصم، فقلت له: أتحلف؟ فقال: ليس له عليّ شيء كيف أحلف؟ ولو كان له عليّ شيء لحلفت له وأكرمته(ص١٦٠).

فهذا النص قد اكتسب واقعيته من خلال توفر الزمن حيث ذكر التاريخ التسجيلي للحدث وهو (سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وأيضا مما يوحي بواقعيته ذكر اسم علم للشخصية، وكذلك تحديد المكان (الأهواز)؛ مما يجعلنا نصنف هذا الخبر ضمن التصور الواقعي.

وحكى ابن الجوزي بعض المواقف الفكاهية التي شهدها وعاينها بنفسه، وما لحق به من حرج نتيجة صحبته للمغفلين مما يجعل المتلقي يقتنع بواقعيتها نجد ذلك مثلا في قوله: "دخلت مرة على بعض أصدقائي وفيهم مريض العين، ومعي بعض المغفلين، فقال له المغفل: كيف عينيك؟ قال: تؤلمني، فقال: والله إن فلانا آلمته عينه أياما ثم ذهبت. فاستحييت، واستعجلت

[١] الفكاهة في الأدب العباسي، وديعة النجم طه، ص١٤.

الخروج"(ص١٧٢)، وتبدو واقعية هذا الخبر بارتباطه بالمؤلف مباشرة، فهو شاهد عليه، حيث شكل حضور المؤلف نفسه ركيزة نعتمد عليها في التدليل على واقعية الخبر.

(٢) التخيّل الإبداعي:

التخيل هو "قوة تتصرف في الصورة الذهنية بالتركيب والتحليل والزيادة والنقص، وتسمى هذه القوة بالمخيلة أو المتخيلة"[١]، والتخيل الإبداعي يستمد عناصره من الوجود ليركبها تركيبا جديدا[٢]؛ حيث يرتبط بالواقع فهو يستمد منه عناصره ويؤلفها من جديد، فهو "بناء ذهني يحيل على الواقع ويستند إليه...وهو نوع من الممارسة لهذا الواقع، هذه الممارسة تكون في شكل إعادة إنتاجه أو ترتيب علاقاته أو تشكيله من جديد"[٣].

وتتمثل العلاقة بين الواقع والتخيل في أن التخيل بناء ذهني، أي إنتاج فكري بالدرجة الأولى، ليس إنتاجا ماديا في حين أن الواقع معطى حضوري موضوعي، يحيل إلى الواقع والواقع يحيل إلى ذاته[٤]، ولقد ارتكز ابن الجوزي على قدر كبير من التخييل في صياغة نصوصه؛ مما أدى دورا بارزا في إنتاج الفكاهة، وتتفاوت صور هذا التخييل ودرجاته بحسب قربه من الواقع أو بعده عنه، وسنعرض لبعض النماذج الفكاهية في الكتاب التي يمكن أن نصنفها ضمن الأنماط التخييلية.

ومن الشواهد التي نلمس فيها التخييل الإبداعي:

"وكان أعرابي يصلي، فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم"(ص١٢٦)، فشخصية الأعرابي تحيل على ما هو موجود في الواقع، لكن في صورة متعددة، ويتسع هذا التعدد مع غياب اسم العلم المخصص للشخصية الذي يميزها عن غيرها من الشخصيات[٥]؛ مما يجعلها تقترب من التخييلي لما تحمله من بعدا خياليا.

---

[١] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص٢٦٢.

[٢] ينظر: المصدر السابق، ص٢٦٢.

[٣] فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٢م، ص٤٣، ٤٤.

[٤] ينظر: المصدر السابق، ص٤٢،٤٣.

[٥] الخبر في السرد العربي، سعيد جبار، ص١٩٩.

"عن محمد الداري قال: كان عندنا رجل بدارا، وكان فيه غفلة، فخرج من دارا، ومعه عشرة أُحْمُرٍ، فركب واحدا وعدها، فإذا هي تسعة، فنزل وعدها فإذا هي عشرة، فلا زال كذلك مرارا، فقال: أنا أمشي وأربح حمارا خير من أن أركب ويذهب مني حمارا، فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته"(ص١٦٢،١٦٣).

مما يجعلنا نصنف هذا الخبر في التخييلي أنه من حيث الحدث فهو حدث ممكن الوقوع لا سيما وأنه مهد للمتلقي منذ البداية بتقبل الخبر عندما عرف بالشخصية أن فيه غفلة؛ مما يجعل من الأمر استباقا تأليفيا على صعيد النص القصصي؛ إذ بدا من نافلة القول على مستوى البنية النصية الكلية للكتاب الذي عنون بأخبار الحمقى والمغفلين، لكنه لا يخلو من دلالات ما قد يختلف حولها بتنوع أنماط التلقي ومستوياته، فهو ممكن الوقوع منه، ولكنه يفتقد إلى اسم علم للشخصية، فاكتفى بقوله (رجل)، وهي كلمة نكرة، وتحيل إلى متعدد؛ مما يفقدها واقعيتها، كذلك خلا الموقف الفكاهي هنا من تحديد الزمان، وإن اشتمل على المكان، ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى أن إقصاء التحديد الدقيق للإطارين الزماني والمكاني من أبرز خصائص النص الفكاهي؛ إذ تتمثل البؤرة النصية التي يرتكز عليها الإبداع الأدبي في الفكاهة وتوليدها، ومن ثم تتقلّص أهمية أي عنصر آخر لا يسهم في توليد هذه البؤرة، مع الوعي باقتضاب النص بوجه عام؛ بما يرجح معه هذا التوجّه الفني، ويجعل منه وعيا فطريا جديرا بالتفات الباحثين.

كما يتجلى النمط التخييلي كذلك فيما أورده عن جحا عندما قيل له: "أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال: نعم قال: خذ جريبين حنطة، فعقد الخنصر والبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيرا، فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لم أقمت الوسطى؟ قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير"(ص٤٥).

حيث استقى عناصر التخييل من الواقع المحسوس فاتخذ من أصابع اليد عناصر يتجاوز بها واقعه إلى عالم تخييلي، فشكّل صورة ذهنية للحنطة والشعير من خلال عقد الأصابع للحساب متخذا من هذين الإصبعين حاجزا لكي لا تختلط الحنطة بالشعير.

ويذهب ابن الجوزي بتخيله السردي أبعد مما سبق في نص يلتقي فيه النمط التخييلي بالتخيلي: "حكى لي بعض الاخوان أن بعض المغفلين كان يقود حمارا، فقال بعض الأذكياء لرفيق له: يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل، قال: كيف تعلم ومقوده بيده؟ فتقدم فحلّ المقود

وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه: خذ الحمار واذهب، فأخذه، ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة، ثم وقف، فجذبه فما مشى، فالتفت فرآه، فقال: أين الحمار؟ فقال: أنا هو، قال: وكيف هذا؟ قال: كنت عاقا لوالدتي فمُسخت حمارا، ولي هذه المدة في خدمتك، والآن قد رضيت عني أمي فعدت آدميا، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف أستخدمك وأنت آدميا؟ قال: قد كان ذلك، قال: اذهب في دعة الله. فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته: أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا، وكنا نستخدم آدميا ولا ندري فماذا نكفر وبماذا نتوب؟ فقالت: تصدق بما يمكن، قال: فبقي أياما، ثم قالت له: أما شغلك المكاراة فاذهب اشتر حمارا لتعمل عليه، فخرج إلى السوق، فوجد حماره يُنادى عليه، فتقدم وجعل فمه في أذنه، وقال: يا مدبر، عدت إلى عقوق أمك؟"(ص٢٠١).

ينقلنا ابن الجوزي بتخيله السردي إلى صورة ذهنية بالاعتماد على عناصر محسوسة من الواقع شكّلت مادة تخيله كالإنسان الذكي، والحمار، والمقود، فصور المغفل وهو يصدّق كل ما يقال له، حيث تخيّل مسخ الآدمي حمارا، ثم عودته آدميا، وهنا يلتقي النمط التخييلي بالتخيلي من خلال مجاوزة المألوف، وقد اعتمد إلى خلفية دينية لدى المتلقي، وهي جُرم عقوق الأم، والعقوبة التي قد تلحق العاق بوالدته، ومرر من خلالها للمتلقي تصديق المغفل لما قيل له.

وظف التخيّل من خلال أسلوب المفارقة بين الآدمي والحمار، وبين غضب الأم ورضاها، معتمدا على تجاوز المألوف؛ مما ولدا عناصر تخييلية مفارقة للواقع، فالحمار يُمسخ آدميا بعد رضا أمه عنه، ثم يعود بعد ذلك حمارا يُباع في السوق، فيتبادر إلى ذهن المغفل مباشرة بأن ذلك عودا على بدء، عندها همس في أذنه سائلا: أعدت لعقوق أمك؟.

يتبين لنا مما سبق أن الوعظ نال النصيب الأكبر من أغراض ابن الجوزي الفكاهية، ويليه غرض إصلاح المجتمع، ولعل ذلك عائد إلى أن ابن الجوزي عالم دين في المقام الأول أنذر نفسه للدعوة إلى الله بكل ما أوتي من حكمة وموعظة حسنة، فوجد في الفكاهة أسلوبا يحمّله ما يريد من مضامين ودلالات، وفي الوقت ذاته دعا إلى التهذيب وإصلاح المجتمع منوّهًا إلى مشكلات عصره الاجتماعي دعوة إلى الإصلاح، وهو في هذا وذاك لم تخل فكاهاته من متعة وإضحاك. كما ارتكز ابن الجوزي على عدد من الأساليب في صياغة نصوصه الفكاهية، فنجد حضورا لافتا للتخيّل الإبداعي، ويليه التصور الواقعي، وقلّ التخيّلي الذي يتجاوز حدود المألوف.

المبحث الثاني: نماذج الشخصية في النص الفكاهي:

نماذج الشخصية هي صور متكاملة الأبعاد لشخصيات أدبية بحيث تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقائص كانت متفرقة من قبل في عالم التجريد أو في مختلف الأشخاص[١]، فالنموذج هو "فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية تغلب عليه صفة نفسية أو مادية ما، تميزه من حيث الدرجة – لا من حيث النوع – عن غيره من بني الإنسان"[٢]، ومع وجود هذه الصفة التي تغلب على النموذج إلا أن ذلك لا يتعارض مع وجود صفات أخرى يشترك فيها مع غيره من الناس؛ إذ "يظل هذا النموذج – مع هذه الصفة الغالبة بكل ما تحمله من سمات التفرد والتميز والخصوصية – مشتركا مع غيره من صفات الإنسان وأحاسيسه ونوازعه ومدركاته، حتى إنهم يشركونه في الصفة التي تجعل منه نموذجا دون أن يساووه في الدرجة"[٣]، أي إن النموذج صفة غالبة عليه إيجابية كانت أم سلبية مع وجود صفات أخرى يشترك فيها مع غيره من البشر.

ولم يخل الأدب الفكاهي من هذه النماذج؛ إذ نجد "فيه اتجاها مبكرا إلى النمذجة التي يتسم بها الأدب القصصي في تطوره وأصبحت من أهم معالم القصة الفكاهية والمسرحية الكوميدية؛ ذلك أن النمذجة هنا تتجه نحو الكلي أو العام، فتقدّم لنا بعض النماذج البشرية العامة كالبخلاء أو الأدعياء,.."[٤].

والملاحظ أن ابن الجوزي قسم الحمقى والمغفلين إلى: خاصة وعامة، فالحمقى والمغفلين من الخواص هم: القراء، ورواة الحديث، الأمراء، الولاة، القضاة، الأئمة، أما الحمقى والمغفلون من العوام فهم: المؤذنين، الأعراب، القصاص، المتزهدين، المعلمين، الحاكة، ويمكن أن نعرض لثلاثة نماذج من القسمين، رصدها ابن الجوزي وحدد معالمها في كتابه، وهي:

---

[١] ينظر: الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٣م، ص٣٠٣.

[٢] أصول المقامات، إبراهيم السعافين، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط.١، ١٩٨٧م، ص١٤٤.

[٣] أصول المقامات، إبراهيم السعافين، ص ١٤٤.

[٤] الأدب الفكاهي، عبد العزيز شرف، ص٩٤.

(١) نموذج الأحمق:

يتحدد المعنى اللغوي للحمق فيما يلي: "الحمق هو قلة العقل، وهو وضع الشيء في غير موضعه"[١]، كما عرض ابن الجوزي في مقدمة كتابه معنى الحماقة، فهي "مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت، فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت إليه"(ص٢٣)، ومعنى الحمق عنده "هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب، بخلاف الجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد ورؤيته في الطريق الموصل إلى الغرض غير صحيحة، والمجنون أصل إشارته فاسد، فهو يختار مالا يُختار"(ص٢٣)، ويرى أن الحمق غريزة، فقد ذكر "عن أبي إسحاق قال: إذا بلغك أن غنيا افتقر فصدق، وإذا بلغك أن حيا مات فصدق، وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق"(ص٢٤)، وللحمق أنواع ودرجات، فمنه ما يكون غريزة، ومنه ما يأتي صاحبه سهوا منه أو غفلة، ومنه ما يحاصر صاحبه وتدهمه مفاجأة فتكون ردة فعله خارجة عن المألوف غير متوقعة[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الجوزي قد اهتمّ بإبراز الصفات المعنوية للأحمق أكثر من الصفات الشكلية[٣]، واقتصر على صفة واحدة من صفات الأحمق الشكلية وهي طول اللحية وصف أحد الحمقى بـ" شيخ طويل اللحية كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته"(ص١٨٦).

ومن أبرز صفات الأحمق المعنوية قلة العقل، نجد ذلك جليا في خبر هبنقة الذي "جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضل عن نفسي ففعلت ذلك لأعرفها،

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، مادة حمق.

[٢] ينظر: الحمق والجنون في مرايا الأدب العربي القديم، فيصل أبو الطيف، مجلة اللغة العربية، ع٣٩، ٢٠١٨م، الجزائر، ص٢٨٢.

[٣] ذكر ابن الجوزي في مقدمة كتابه صفات الأحمق الشكلية كصغر الرأس والأذن، وزرقة العين مع صفرتها، ينظر: أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٠، إلا أننا نستبعدها من البحث لانطلاقنا من النص ذاته، فلم ترد في أخباره عنهم شيئا من هذه الصفات الشكلية سوى طول اللحية، وجعلها من العلامات التي لا تخطئ.

وفي ليلة أخذ أخوه قلادته فتقلدها، فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه، قال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟"(ص٤٣).

ومن سمات الأحمق الغرور، فيبدو الأحمق مغترا بذاته، يرغب في الظهور، ويتطلع إلى ثناء الناس عليه، كما مر بنا سابقا في قصة قاضي جبلة الذي تنكر في شخص آخر، وتعرض للأمير، وأخذ يكيل المدح لنفسه، وكأنه من عامة الناس، وكذلك أن أعرابيا يصلي، "فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته، وقال: مع هذا إني صائم"(ص١٢٦)، فالرغبة في الثناء حملته على قطع صلاته عندما سمع مدحهم وأخبرهم بصومه.

ومن صفات الأحمق كذلك العطاء في غير موضعه، فقد ذكر أن أحد الحمقى أضل بعيرا فجعل ينادي: من وجده فهو له، فقيل له: فلم تنشده؟ قال: فأين حلاوة الوجدان؟"(ص٤٣)، فالعطاء ليست صفة ذميمة على الدوام، ولكنها تفقد حمدها حينما تأتي في غير موضعها، كما جاءت في هذا النص، فجعل ناقته مكافأة لمن يجدها بحجة حلاوة الوجدان.

كما يبدو الأحمق شخصية متهورة لا تدرك عواقب الأمور، ورد ذلك في خبر الحاجب الذي أتاه رجلان يشهدان برؤيه هلال شوال، فقال لهم: أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعد، ولم يتهيأ، فانصرفوا وصام الناس يوم الفطر"(ص١١٤)، فهو لم يدرك عاقبة تصرفه بنهره للشاهدين اللذين حضرا يشهدان رؤية هلال شهر شوال، وحجته في ذلك أن الأمير لم يختضب ولم يتهيأ؛ مما جعل الناس يصومون يوم العيد الذي يحرم صومه.

كذلك من سمات الأحمق الإصرار والعناد، وعدم تقبل النصح والتوجيه، ويتمثل ذلك في من قرأ قراءة عثمان بن أبي شيبة: "فضرب بينهم سنور له ناب" فقيل له: إنما هو "بسور له باب" فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة، قراءة حمزة عندنا بدعة"(ص٧٧)، فالإصرار والعناد صفة لازمة له، رغم معرفته بالحق من خلال نصح الناس له وتوجيهه.

كما تبدو شخصية الأحمق مؤذية وقاسية في تعاملها مع أقرب الناس له، وأحقهم بحسن الصحبة، فقد ذكر ابن الجوزي أن أعرابيا يضرب أمه فقيل له: يا هذا أتضرب أمك؟ فقال: اسكت، فإني أريد أن تنشأ على أدبي"(ص١٢٢).

(٢) نموذج المغفّل:

"المغفل هو الذي لا فطنة له"[١]، وهو أقل درجة في الحمق والتغفيل من الأحمق، فـ"الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوه منه، فلهذا يتفاوت الحمق"(ص٢٦)، وتبدو شخصية المغفل شخصية اجتماعية تحاول التواصل مع الغير، وتقوم بواجباتها الاجتماعية كعيادة المريض، وتعزية أهل الميت، ولكنها غالبا لا تنجح في التواصل معهم لغفلتها ولافتقادها مهارات التواصل الاجتماعي التي بلا شك تحتاج إلى قدر من العقل والتيقظ.

من صفات المغفل كذلك الصراحة، ذكر ابن الجوزي "أن مغفلا سُرقت منه دراهم، فقيل له: نرجو أن تكون في ميزانك، فقال: من الميزان سرقت"(ص١٥٧)، فالمغفل هنا اعترف مباشرة بأنه سرقها من الميزان ولم يدفعه الخوف من العقاب إلى الكذب أو الانكار، بل كان صادقا مع من سأله. ومن صراحة المغفل أيضا أنه يعبر عما يشعر به في الموقف دون مراعاة مشاعر الآخرين، كما مر بنا فيمن يعود مريضا ويعزيهم فيه، فهو يظهر ما يبطنه مباشرة دون تلوّن.

وتبدو الرحمة كذلك صفة من صفات المغفل، وهي ليست صفة سلبية على الدوام، بل هي إيجابية حين تكون في موضعها وسلبية حين تفارق سياقها، روى ابن الجوزي عن أحدهم أنه كان يأتي البستان فيشم الريحان في منبته ويقول: لا أقلعه رحمة به"(ص١٠٤).

ومن الصفات كذلك في نموذج المغفل ثقته بمن يعرف، ومن لا يعرف كما ورد سابقا في هذا البحث حكاية المغفل الذي صدق مسخ الحمار كما يتبين في الحكاية نفسها صفة للمغفل، وهي تأنيب الضمير والإحساس بالذنب عندما شعر بالذنب لاستخدام الآدمي حمارا، فراح يخبر زوجته التي أشارت عليه ببذل صدقة علّها تكفر هذا الذنب.

(٣) نموذج الجاهل:

الجاهل عند ابن الجوزي هو من جهل القرآن ورواية الحديث ومصادر التشريع والنحو العربي، فمن مظاهر الجهل بالقرآن الخلط بينه وبين الشعر، والقراءة الخاطئة للآيات القرآنية، وكذلك الفهم السطحي لمعاني القرآن، ومنها ما ذكره أن أحدهم أنه قال: "مررت بشيخ في حجره مصحف، وهو يقرأ (ولله ميزاب السموات والأرض)، فقلت: يا شيخ ما معنى (ولله ميزاب السموات

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة غفل.

والأرض)؟ قال: هذا المطر الذي تراه، فقلت: إنما هو {ميراث السموات والأرض}، فقال: اللهم اغفر لي أنا منذ أربعين سنة وأنا أقرأها هكذا"(ص٧٧).

والجاهل كذلك من جهل برواية أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ذكر ابن الجوزي أن رجلا أسند حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله عن رجل، فقيل له: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو قد صحفه وإذ هو (عزّ وجل)"(ص٨٤)، فيكون إما بالتصحيف أو بالفهم الخاطئ للحديث، والجاهل أيضا من جهل بالتشريع والقضاء، أورد ابن الجوزي، " قال ابن خلف: اختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يحسن أن يقضي بينهما فضربهما وقال: الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما"(ص٩٩).

ولعل أبرز صفة حددها ابن الجوزي لنموذج الجاهل أنه جريء على دين الله مستهتر به، فقد أورد ابن الجوزي أن "أحد الولاة سمع صياحا، فقال: ما هذا الصياح؟ فقالوا: قوم يتكلمون في القرآن. فقال: اللهم ارحنا من القرآن"(ص٩٨).

يتضح لنا مما سبق أن اختلاف تصوير نماذج الشخصيات القصصية وفق ما تقوم به كل شخصية من أدوار مختلفة في جميع فئات المجتمع من شأنه إضفاء التنوع والمنطقية في (أخبار الحمقى والمغفلين)؛ مما يتلاءم بذلك مع طبيعة الحياة نفسها التي طبعت على التنوع والاختلاف. ويتبين لنا أن كل النماذج التي رصدها ابن الجوزي تخالف صورة العربي المسلم بكل ما يحمله من دين وقيم وأخلاق، فهذه النماذج صورة سلبية أراد ابن الجوزي التنفير منها وبيان ضررها بأسلوب فكاهي، وكذلك يتضح أن كل هذه النماذج التي حددها ابن الجوزي تشترك جميعها في القصور العقلي، فهي ضد العقل؛ مما يعلي من الهدف الذي من أجله ساق ابن الجوزي فكاهاته، وهو الالتفات إلى قيمة العقل.

*****

المبحث الثالث: أشكال النص الفكاهي:

توزعت الفكاهة في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) على عدد من الأشكال القصصية، فتشكلت في الخبر الفكاهي، والنادرة الفكاهية، وكذلك في الحكاية الفكاهية، وسنأتي على كل نوع منها بالتفصيل:

(١) الخبر الفكاهي:

الخبر هو" كل حدث تميز ببساطة فعله ووحدته، فلا يتفرع إلى تعدد الأفعال والأحداث، وتنوع الشخصيات، وقد يطول بعض الشيء إلا أنه يحتفظ بهذه الوحدة الحدثية"[١]، ويعرف الخبر الفكاهي بأنه "نوع من أنواع القصص الفكاهي، صغير في حجمه، قصير في طوله، لا يتجاوز الأسطر القليلة، يعتمد على وحدة قصصية واحدة، تكشف عن موقف واحد، ويعتمد على لغة فنية تتناسب مع الموقف، وقد تكون باللغة العربية الفصحى، وقد تأتي باللهجة العامية لتؤدي الغرض وتنقل الموقف كما كان"[٢].

ويعد الخبر من أكثر الأشكال القصصية تواترا في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين، فجاء محملا بالكثير من المواقف الفكاهية، وينقسم الكلام من حيث الجنس الأدبي إلى خبر وشعر وحديث، وينقسم من حيث النوع الأدبي إلى: خبر وحكاية وقصة وسيرة، كما ينقسم الخبر من حيث هو نوع إلى: خبر لتوصيل المعرفة لدى المتلقي بقصد الإخبار والتعرف، كقصص الأنبياء، وخبر لخلق الانفعال لدى المتلقي بقصد التدبر كما في المواعظ، وخبر لخلق الانفعال لدى المتلقي بقصد الإضحاك، وخلق شعور التفكه والمرح كما في أخبار الحمقى[٣].

ومن نماذج الخبر الفكاهي في كتاب ابن الجوزي:

"عن أبي علي النميري قال: تراءينا هلال شوال، فأتينا سوار بن عبد الله لنشهد عنده، فقال حاجبه: أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين، انطلقوا. فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر"(ص١١٤).

فالفكاهة هنا تكمن في ردّ الحاجب:(أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعد...)، وهو تصرف مفاجئ، لم يكن متوقعا، ويحمل في الوقت ذاته مفارقة عجيبة تثير الضحك، فقد بدأ المقام السردي للخبر بجملة "تراءينا هلال شوال" الذي يتطلب أهمية الزمن، فالموقف جاد، ولا يحتمل أية حماقة؛ إذ إن المتوقع من الحاجب إخبار الوالي، وتسجيل رؤية الهلال، وإعلان دخول عيد

---

[١] الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، سعيد جبار، ص٩٩.

[٢] المكونات السردية للخبر الفكاهي، عبد الله الغزالي، ص١٩٢.

[٣] ينظر: الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.١، ١٩٩٧م، ص٢٠١.

الفطر، إلا أن المفارقة العجيبة في رد الحاجب حيث وصفهم بالجنون، معللا ذلك بأن الأمير لم يختضب ولم يتهيأ بعد؛ مما يثير الدهشة ثم الضحك.

ومن نماذج الخبر كذلك "عن محمد الداري قال: كان عندنا رجل بدارا وكان فيه غفلة فخرج من دارا ومعه عشرة أحمر فركب واحدا وعدّها، فإذا هي تسعة فنزل وعدها فإذا هي عشرة، فلا زال كذلك مرارا فقال: أنا أمشي وأربح حمارا خيرا من أن أركب ويذهب مني حمارا، فرأيته يمشي حتى كاد أن يتلف إلى أن بلغ قريته"(ص١٦٢،١٦٣).

تتجلى الفكاهة في هذا الخبر في فعل الشخصية وهو الرجل الذي خرج ومعه عشرة أحمر فركب واحدا فعدها فإذا هي تسعة بإسقاط حساب الحمار الذي يركبه، فإذا نزل وجدها عشرة مما حمله على السير قدما؛ لكيلا يخسر حمارا، ولم يكن هذا الفعل متوقعا لو لم يمهّد الراوي في بداية المقام السردي بقوله "وكان رجل فيه غفلة"؛ مما يخلق أفق انتظار المتلقي لأي تصرف أحمق يصدر من الشخصية، وكان للمكان دورا في إحداث الفكاهة فقد وصل إلى قريته سيرا على الأقدام، ومعه عشرة أحمر، دون أن يركب واحدا منها.

وانتهى كلا الخبرين بخاتمة تكشف الأثر السلبي للحمق والغفلة وتبين أثرهما، ففي الخبر الأول كانت النتيجة "صام الناس يوم الفطر"، ونتيجة الخبر الثاني "كاد أن يتلف حتى بلغ قريته".

فالفكاهة في الخبر الأول تنبعث من خلال الحوار، فشكّل ركيزة في إنتاجها، بينما كان للحدث دور بارز في فكاهة الخبر الثاني، كما ظهر في الخبر الأول شخصيات ثانوية بجانب الشخصية الرئيسة (الحاجب) ساعدت في إنتاج الفكاهة، وهي شخصيتا الرجلين اللذين رائيا الهلال، وكذلك القاضي والأمير، بينما في الخبر الثاني شخصية رئيسة واحدة تمحور حولها الحدث.

(٢) النادرة الفكاهية:

يمكن تعريف النادرة الفكاهية بأنها نص سردي قصير يتميز بالندرة والطرافة والفكاهة، وتكون لغته موجزة وموحية وغنية بالدلالات، وربما تفتقر إلى تعدد الأحداث والشخصيات؛ لأنها تصور موقفا دقيقا محددا في لحظة معينة من حياة الشخصية التي تتمحور حولها الفكاهة (أحمق – مغفل ...)؛ لذا فهذا الشكل لا يحلل الموقف أو يبحث حول الدوافع التي أدت إليه، أو الآثار التي نتجت عنه. وإذا كانت الشخصيات متعددة فإن العلاقة بينها تتسم بالبساطة، وربما

السطحية، والنادرة الفكاهية تعتمد على ما تتركه في نفس المتلقي من أثر طريف مضحك، إضافة إلى انضوائها على فوائد متنوعة كنقد المجتمع بغية الإصلاح.

فالنادرة عبارة عن حكاية صغيرة تبعث على الانشراح والضحك بما تتضمنه من فكاهة أو غرابة خارجة عن الكلام المألوف[١]، وقد مثّلت النوادر شكلا من الأشكال القصصية ارتكز عليها ابن الجوزي في نصوصه الفكاهية؛ حيث قال في كتابه: "من نوادر جحا: قال له رجل: أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال: نعم قال: خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقال له: خذ جريبين شعيرا فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل: لم أقمت الوسطى؟ قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير"(ص٤٩،٥٠)، فهذه النادرة ترتكز على تقنية السؤال والجواب، فبدأت بسؤال أعقبه جواب، وأثار إقامة جحا لأصبعه الأوسط فضول السائل، فكانت الإجابة هي منبع الفكاهة والضحك في النادرة.

ومن النوادر الفكاهية أيضا: "حكى بعضهم قال: اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طيهاثا فشربنا يومنا، ثم قلنا: ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا، فقلت: نلنا لذيذ العيش في طيهاثا، فقال الثاني: لما احتثثنا القدح احتثاثا، فارتج على الثالث، فقال: امرأته طالق ثلاثا، ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه"(ص١٣٨).

تكتمل في هذه النادرة عناصر الموقف الفكاهي المضحك الذي انبعث من موقف الرجل الثالث الذي لم يجد بداً من تطليق زوجه ثلاثا مسايرة للقافية، ومواكبة لصاحبيه.

(٣) الحكاية الفكاهية:

تعرف الحكاية بأنها فن مرتكز على السرد المباشر المؤدي إلى الإمتاع والتأثير في نفوس السامعين[٢]. وللحكاية أنواع متعددة تختلف باختلاف مضمونها ومقاصدها، فهناك الحكاية الخرافية، والواقعية، والفكاهية، والدينية...

والحكاية الفكاهية هي "نوع سردي متفرع من النوع الكلي للحكاية، ويقابل الحكاية الجادة لكونه يعمد إلى تمثيل الواقع بشكل ساخر يمكّن من القبض على جوهر التناقض السلوكي، وعدم

[١] ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص ١٦٥.

[٢] ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص٩٧.

التوازن في المجتمع"[١]. ومن نماذج الحكايات الفكاهية في الكتاب: "حكي: أن جحا تبخر يوما فاحترقت ثيابه، فغضب وقال والله لا تبخرت إلا عريانا"(ص٤٨).

وتبدو الفكاهة هنا في الحدث وابتدأ الشاهد هنا بصيغة (حكي)؛ مما يشير إلى أنها من الحكايات المتداولة بين الناس، واقتصرت على شخصية واحدة وهي شخصية جحا مركزة على جانبها النفسي الانفعالي (فغضب) عندما احترق بالبخور، فتمحورت الأحداث حول هذا الفعل، وأبرزت الحكاية جانبا من جوانب الشخصية، وهي الغباء، وكشفت في الوقت نفسه عن نمط تفكير الشخصية، فهو يعتقد أن سبب الاحتراق هو ارتداؤه الملابس، فحلف ألاّ يتبخر إلا عريانا.

ومن الحكايات الفكاهية كذلك ما حكي عن هبنقة: "أنه وضع في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضل عن نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به، وفي ليلة أخذ أخوه قلادته فتقلدها فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه، قال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟"(ص٤٣).

وتنبعث الفكاهة في هذه الحكاية من طرافة الحدث وغرابته، فصورت موقفا محددا تعلق بشخص واحد بما انطوت عليه شخصيته من مفارقة مضحكة مبالغ فيها، وساعد الحوار في كشف تلك المفارقة، فبدت فيها الشخصية لا تعرف نفسها إلا بتلك القلادة، وعندما أضاعها أضاع نفسه ولم يعد يعرفها.

يتضح لنا مما سبق تنوع الأشكال القصصية للفكاهة في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)، وفي غيره من الكتب الفكاهية لابن الجوزي، بين خبر ونادرة وحكاية فكاهية، ومدى التشابه بينهما، من دون إزالة الخصائص البنيوية لكل شكل على حدة. كما يتبين ارتكاز ابن الجوزي على النادرة الفكاهية كثيرا، ثم الخبر الفكاهي؛ الأمر الذي يؤكّد الجانب النفعي الوعظي الاجتماعي لكتابه، فلم يهدف منه الفكاهة والإضحاك فقط، بل الوعظ والإصلاح.

[١] خزانة شهر زاد، الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة، سعاد مسكين، رؤية، القاهرة، ط.١، ٢٠١٢م، ص١٦١.

المبحث الرابع: خصائص النص الفكاهي:

تميزت النصوص الفكاهية في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين بعدد من الخصائص والسمات الفنية، من أبرزها الإيجاز، والبساطة، والمفارقة، والمبالغة، والنقد الاجتماعي، وفيما يلي عرض لمظاهر تجلّي هذه الخصائص عند ابن الجوزي:

(١) الإيجاز:

يعرف الإيجاز بأنه الاقتصاد في الألفاظ والتعبير عن المعنى المراد بكلمات مختصرة، ويعد الإيجاز من أبرز خصائص النصوص الفكاهية؛ وذلك لأن من طبيعة الفكاهة أن تكون موجزة وسريعة تعبر عن معناها بعبارات قصيرة ودقيقة، فهي وليدة الموقف واللحظة.

ويعد معيار حجم النص الفكاهي/الإيجاز في مقابل الإطناب من المعايير النسبية التي تتفاوت الآراء حولها، فنجد من يحدد حجم النص بالسطور أو الصفحات، ومن يحدده بالوقت اللازم للقراءة، ومع هذا التحديد الذي يوحي بالدقة، تظهر بعض الاستثناءات التي قد تبدو متناقضة؛ مما يقلص من أهمية الفكرة التي قام عليها هذا التصنيف، فهناك من يعرف النادرة بقوله: "بداية لا يزيد حجم النادرة على بضعة أسطر، تروى أو تقرأ في دقيقتين أو ثلاث"[١]، وبالرغم من الدقة الظاهرية للتعريف السابق، يظهر تناقض أو استثناء، حينما تطول السطور التسعة وتصل إلى ثلاث صفحات: "وقد تطول النادرة، فتصل إلى صفحتين أو ثلاث على الأكثر"[٢]، وبالطبع هذا الاختلاف في الحجم هو المنوط به تحديد شكل النص الفكاهي، سواء أكان نادرة أم حكاية أم خبر فكاهي.

وعامة يبدو الإيجاز أبلغ في الفكاهة من التطويل؛ حيث يمضي بالنص إلى غايته الفكاهية، بصورة مباشرة؛ بما يضمن سرعة تحقيق الأثر الرئيس منها، وهو الإضحاك، وبذلك يكون الرمز والإيماء في الفكاهة والسخرية أنكى من الإطالة، وذلك عائد لطبيعة الفكاهة القائمة على تجافي الإطناب[٣].

---

[١] التراث القصصي في الأدب العربي القديم، محمد رجب النجار، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥م، ص ٦٨٥.

[٢] المرجع السابق، ص ٦٨٦.

[٣] ينظر: السخرية في الأدب العربي، نعمان طه، ص٤٩.

وتتعدّد نماذج النوادر التي يتحقق فيها الإيجاز، ومنها النادرة التالية: "أجريت خيل فطلع منها فرس سابق، فجعل رجل يثب من الفرح ويكبر، فقال له رجل بجانبه: أهذا الفرس لك؟ قال: لا ولكن اللجام لي"(ص١٧٧). وتكمن الفكاهة هنا في كلمة واحدة وهي (اللجام)، فإنه لما رُئي الرجل يثب ويكبّر من الفرح ظن من بجانبه أن الفرس السابقة له، ولكن تأتي المفاجأة أن ليس له منها إلا اللجام فقط؛ مما يثير الفكاهة والضحك، وما تكبيره وفرحه إلا للجامه الذي لا يغني في السباق شيئا.

وتعمد الفكاهة إلى الإيحاء بدل التفصيل، نجد ذلك جليا في النص التالي: عن جحا أنه "سمع قائلا يقول: ما أحسن القمر، فقال: أي والله خاصة في الليل"(ص٤٩)، ففي قوله (وخاصة في الليل) نجد العبارة موحية ومقتصدة تحدث الضحك، وهل يرى القمر إلا في الليل. وكذلك قوله: "حكي أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظلها"(ص٤٩).

وتجدر الإشارة هنا إلى ارتكاز بعض النصوص الفكاهية على معيار الطول الذي يتناقض ظاهريا مع خصيصة الإيجاز، لكنه في الوقت نفسه يحمل إشارة إلى وعي ابن الجوزي – ومؤلفي النوادر عامة – إلى ارتقاء السمات الأسلوبية في تحقيقها للفكاهة والإضحاك؛ مما يجعل مرونة توظيفهم لأية خصيصة أسلوبية مرهونة بالأثر الفعلي الذي يتحقق منها، ومن ثم يتم الاختيار من بينها.

فثمة تفاوت في الاعتماد على معيار الحجم، وبالرغم من غلبة سمة الإيجاز على النصوص الفكاهية عامة، والنوادر خاصة، فإنها تبدو في كثير من الحالات متفاوتة من زاوية الحجم؛ إذ تبدأ من سطر واحد فقط، وربما أقل، ونادرا ما تتجاوز الصفحة الواحدة؛ إذ يتناقض الطول أو الإطناب مع سمتي الفكاهة والإضحاك، ومن ثم ففي حالة تحقق قدر من الزيادة في الحجم، فإنه يكون موظفا لتحقيق الفكاهة والإضحاك.

ومن أمثلة النوادر المعتمدة على الطول أو الإطناب، بغية تحقيق الفكاهة النادرة التالية: "وعن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق، فغرق في البحر شلنديتان من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن شلنديتين أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما

أي تلفوا، قال فكتب إليه أمير حلب بسم الله الرحمن الرحيم، ورد كتابك أي وصل، وفهمناه أي قرأناه، أدب كاتبك، أي اصفعه، واستبدل به أي اعزله، فإنه مائق أي أحمق، والسلام أي انقضى الكتاب"(ص٧٩).

يبدو التكرار في النادرة السابقة من أسباب الإطالة النسبية، ومن ثم من أقوى عوامل تحقيق الفكاهة والإضحاك، بالاعتماد على تكرار حالة أو وضع محدد[١]، وكان الارتكاز على التكرار في موضعين: الأول يتصل بالكاتب عندما شرح المفردات اللغوية الثلاث دون حاجة ملحة، والثاني يتصل بالأمير حينما كرر فعل الكاتب من أجل السخرية والمعاتبة في الوقت نفسه، فضخم فعل الكاتب، حينما شرح ألفاظ أكثر مما شرحها هو، وهي ستة ألفاظ؛ الأمر الذي أسهم في تقوية الفكاهة وزيادة درجة الإضحاك، خاصة وأن شتى الألفاظ لا تتطلب أي شرح أو توضيح.

ومن أمثلة النوادر المرتكزة على الإيجاز الواضح: "حضر رجل مع قوم في جنازة رجل فنظر إلى أخ الميت، فقال هذا الميت أم أخوه"، وأيضا: "قيل لمغفل: قد سرق حمارك، فقال الحمد لله الذى ما كنت عليه"(ص١٣٧، ١٣٨)، كما قد تصل النادرة إلى خمسة أسطر، مثل النادرة التالية: "ذهب بصر عمرو بن هذاب فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال: يا أبا أسيد لا تجزعن من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ظلفك، قال فصاح به القوم وضحك بعضهم، فقال عمرو: معناه صحيح ونيته حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ"(ص١٣٥).

وبالنظر إلى النادرتين السابقتين، يتبيّن أن الفكاهة نتجت من الحوار الذي أرسله نموذج الأحمق في كليهما، والذي يدل على تضخيم الجهل والحمق والمبالغة فيهما، بينما تأتي النادرة الثالثة المتسمة بزيادة نسبية في الحجم، وتعد هذه الزيادة مما حقق الفكاهة؛ إذ اتسم حوار الأحمق بالطول، إضافة إلى أنها تعد ضربا من المفارقة لما هو متوقع، لكن هذه الزيادة تبدو ضرورية لتأكيد الفكاهة؛ إذ عمد المؤلف إلى تصوير نموذج الأحمق وكأنه واعظ أو خطيب (فقام بين

[١] انظر: هنرى برغسون: الضحك، ص٦٣.

يديه)، وإذا كان الإضحاك قد يحدث بالاكتفاء بأمنية من الأمنيات "قطع يديك – ورجليك – ودق ظهرك – وأدمى ظلفك"، فإن حشد هذه الأمنيات كلها أسهم في زيادة درجة الفكاهة والإضحاك.

(٢) البساطة:

وتبدو البساطة والوضوح سمة بارزة في النصوص الفكاهية في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)، فقد عمد إلى الأسلوب السهل البسيط القريب من أفهام الناس، لذلك فهي تقترب من الأسلوب المباشر، ومن الأمثلة الدالة على البساطة النادرة التالية: "قال بعض الناس لمملوكه: أخرج وانظر هل السماء مصحية أو مغيمة، فخرج ثم عاد، فقال: والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيمة أم لا"(ص١٩٥)، فهو يصف حمق بعض الناس وغفلته لدرجة أنه وهو يرى المطر لم يعرف السماء إنْ كانت غائمة أم ذات صحو، مستخدما كلمات بصورة واضحة.

والنصوص الفكاهية لابن الجوزي بعيدة عن التعقيد والغموض تؤدي معناها بلا تكلف، فنجده يصف غفلة حاجب الأمير عندما جاءه رجلان يشهدان برؤية هلال شوال فرد عليهم "أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مئتين، انطلقوا فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر"(ص١١٤).

وتبلغ اللغة بساطتها في بعض الأخبار الفكاهية لتحمل ألفاظا عامية تمكن عامة الناس من فهمها، ومن الشواهد الفكاهية التي تطغي عليها البساطة عبر توظيف مستويات لغوية مخالفة للفصحى، مثل العربية الوسيطة والمختلطة، أو اللهجات العامية، النادرة التالية: "كان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها، فاطلع عليه جاره فقال: يا هذا، اعمل معها كما قال الله تعالى: إما إمساك إيش اسمه أو تسريح ما أدري إيش"(ص٨٠،٨١). فقد اتخذ من جهل الجار مجالا للتفكه من خلال جهله بآيات القرآن وكذلك استهتاره بالآيات الكريمات {الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان}[١] ليبدل مكانها كلمات عامية (إيش اسمه، ما أدري إيش اسمه).

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن البساطة لا تنحصر فقط في سهولة الألفاظ والتراكيب اللغوية،

[١] سورة البقرة، آية ٢٢٩.

بل في انتفاء تعقيد البنية النصية؛ إذ تبدو النصوص الفكاهية بمختلف أشكالها ذات بنية هشّة بسيطة، يسهل فهمها من شتى فئات المتلقين، وهذه الهشاشة البنيوية ربما تبدو مصدر قوتها من زاوية الأثر المتحقق؛ إذ تمثل رافدا رئيسا للفكاهة والإضحاك.

وفي الوقت نفسه قد يبدل التعقيد والغموض بالبساطة، والأمر هنا أيضا مرهون بالأثر الناتج من أي الأسلوبيين التأليفيين؛ إذ قد ترتكز الفكاهة على صور محددة من التعقيد والغموض اللغوي؛ مما يجعل توظيفهما أمرا ضروريا ومحوريا لتوليد الفكاهة والإضحاك، كما قد يسهم التحدث بالفصحى في غير موضعه في توليد الفكاهة، مثل النادرة التالية: "قال الكسائي: حلفت أن لا أكلم عاميا إلا بما يوافقه ويشبه كلامه، وقفت على نجار، فقلت: بكم هذان البابان؟ فقال: بسلحتان يا مصفعان، فحلفت أن لا أكلم عاميا إلا بما يصلح"[١]، فإضافة إلى الفكاهة الناتجة من هذه النادرة، فإنها تشير إلى موقف فئة الخواص، ومنهم الكسائي، من التحدث مع العامة؛ إذ يعتبر التحدث معهم بالإعراب والفصحى نمطا من الحمق أو التغفيل، كما أشار ابن الجوزي.

(٣) المفارقة:

ويقصد بالمفارقة الاختلاف والتناقض بين أمرين أو شيئين، وهي التناقض الشديد بين طبيعة الحدث أو القول الذي أنتج الفكاهة وطبيعة الموقف أو السياق الخارجي الذي تضمن الحدث. وتتوسل أغلب النصوص الفكاهية بالمفارقة التي تهدف إلى إبراز التهكّم المفرط؛ مما يثير الضحك، فهي تقوم على المفاجأة، فنحن "نضحك حينما ندرك التناقض بين الفكرة المجردة التي نكونها عن شيء من الأشياء، وحقيقة هذا الشيء وواقعيته، ووضوح هذا التناقض فجأة وعلى غير انتظار منا يبعث سرورنا ويثير ضحكنا"[٢].

وتتجلّى المفارقة في الخبر الذي أورده ابن الجوزي في رجل أراد أن يشتري حمارا فدخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس فقال: يا نخاس اطلب لي حمارا لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن شئت أقللت علفه صبر، وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري، ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تدفق، وإذا أكثر الزحام ترفق، فقال له النخاس بعد

---

[١] أخبار الظراف والمتماجنين، ابن الجوزي، ص١٢٣.

[٢] الأدب الفكاهي، عبد العزيز شرف، ص١١.

أن نظر إليه ساعة: دعني، إذا مسخ الله القاضي حمارا أشتريه لك"(ص١٣٤).
وتبرز المفارقة هنا في تصوير الحمار في صورة مثالية خيالية غير متوقعة تبعث على الفكاهة والضحك من خلال الشروط التي حددها لشراء الحمار فقد جمع بين المتناقضات (الصغير، الكبير، المحتقر، المشتهر، أقللت، أكثرت، صبر، شكر، تدفق، ترفق...)، فهذه الصورة بكل ما فيها من متناقضات حملت النخاس على أن يجيبه جوابا يبلغ بالفكاهة ذروتها بأن ذلك لن يتحقق إلا إذا مسخ الله القاضي حمارا، فالحمار الذي أراده يتجاوز حدود الحيوان ليصل إلى درجة خواص البشر، وهم الحكماء والقضاة.
كما استُخدمت المفارقة أداة لبيان حمق الشخصية: "كتب رجل بالبصرة إلى أبيه: كتبت إليك يا أبتِ نحن كما يسرك الله عونه وقوته، لم يحدث علينا بعدك إلا كل خير، إلا أن حائطا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري"(ص١١٦).
فالمفارقة المضحكة تكمن في أنه أراد أن يطمئن أباه بأنه لم يحدث لهم بعده إلا الخير، فتأتي المفاجأة التي تمثّل مفارقة واضحة، من حيث أراد الاطمئنان بأن هلكت الأسرة كلها وجارهم وحيواناتهم، ولم ينج إلا هو، وتلك المفارقة المنوط بها بعث الفكاهة والإضحاك لدى المتلقي.

(٤) المبالغة:

تعد المبالغة من سمات النصوص الفكاهية، ويقصد بها التضخيم والخروج عن المألوف، فالأمر المألوف لا يثير الضحك عادة، بينما تتولّد الفكاهة والإضحاك بانتفاء هذه الألفة، وإبراز الغرابة في كثير من الجوانب، ولقد استعان ابن الجوزي بالمبالغة كأداة فنية في تجلية فئة الحمقى والمغفلين، فقد بالغ في وصف غباء أحدهم حتى أنه لا يستطيع معرفة نفسه إلا من خلال قلادة يلبسها، كما مرّ بنا سابقا في حكاية هبنقة، وتبلغ المبالغة حدا غير مألوف حينما يصف طول لحية الأحمق، فهي تصل إلى ركبة صاحبها، يقول في الخبر الفكاهي التالي: "خرج عبادة ذات يوم يريد السوق فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته فقال له عبادة: يا شيخ لم تترك لحيتك هكذا؟ قال: أفتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك؟ قال عبادة: فإن الله يقول: "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"، وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "احفوا الشارب واعفوا اللحى"، ومعنى

عفو اللحى أن يزال أثرها، فقال الشيخ: صدق الله ورسوله، فحلق لحيته، وجلس في دكانه، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث"(ص١٨٦).

تتجلّى المبالغة هنا في قوله (كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته، فمرة يدسها في جيبه، ومرة يجعلها تحت ركبته)؛ مما يثير ضحك المتلقي، فصوّر طول لحية الأحمق بشكل مبالغ فيه، يصل الأمر بصاحبها إلى أن يخبئها حينا في جيبه، وحينا تحت ركبته؛ مما يشكّل عائقا له عن الحركة، وكثيرة هي "الفكاهات التي تعتمد التهكم باللحى وأصحابها، وليس بمستبعد أن يعمد بعض الناس إلى إطالة لحاهم وذلك اعتقادا منهم أن طول اللحى دليل على العلم والتدين والوقار، فيقعون في فخ المتهكمين من أبناء مجتمعهم"[١].

(٥) النقد الاجتماعي:

وسم النقد الاجتماعي نصوص ابن الجوزي الفكاهية في كتابه، إذ نجد فيها انعكاسا للحياة الاجتماعية بكل جوانبها، سعى ابن الجوزي من خلالها إلى توجيه الأنظار إلى عيوب المجتمع في عصره ونقائصه، فلا يخلو أي عصر من عيوب، متخذا من الفكاهة وسيلة للنقد والتهذيب والإصلاح. ولعل من أبرز هذه المظاهر السلبية الجهل وادعاء العلم، لا سيما في رأس العلوم وأهمها كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فقد أثار الجهل بهذين العلمين عند فئة الناس حفيظة ابن الجوزي، وهو عالم الدين، فشرع ينقد ويحذر من خطره بأسلوب فكاهي ضمني، وبطريقة غير مباشرة لكنها أقوى تأثيرا وفعالية، لا سيما عند طبقة خاصة في المجتمع الذين ينبغي أن يكونوا بمنأى عن هذا الجهل، وهم كما رتبهم ابن الجوزي: القراء، رواة الحديث، القضاة، الأمراء والولاة، الكتاب والحجاب، المؤذنون، الأئمة. ومن ذلك قوله: "عن محمد بن خلف قال: مر رجل بإمام يصلي بقوم فقرأ: آلم غلبت الترك، فلما فرغ قلت: يا هذا، إنما هو: {غلبت الروم}، فقال: كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم"(ص١١٩).

فابن الجوزي تعمّد انتقاد الواقع الاجتماعي في عصره؛ إذ يكشف لنا هذا الخبر مدى الجهل بالقرآن، وكذلك الجرأة على الله وعدم المبالاة بكلامه سبحانه وتعالى عند هذه الفئة. كما تعد

---

[١] الفكاهة والضحك في التراث العربي والمشرقي، رياض قزيحة، المكتبة العصرية، بيروت، ط.١، ١٩٩٨م، ص٢٨٥.

الغفلة والحماقة من الظواهر السلبية في المجتمع، اهتم ابن الجوزي بنقدها، وتنبيه الناس إلى خطرها، فسلّط الضوء على من عرفوا بها، بأسلوب فكاهي يثير الضحك، وفي الوقت ذاته يذكّر بنعمة العقل واستثماره فيما ينفع، وهذا من خلال التنبيه بضرورة معرفة حقيقة الأمور في المجتمع التي قد تكون من البديهة بمكان، فالإنسان يسمو ويرتفع بتمام عقله، ومن تلك النصوص قوله: "حكي أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظلها"(ص٤٩)، وكذلك ما حكاه عن معلم يقول: "ضرب معلم غلاما فقيل: لم تضربه؟ فقال: إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب"(ص١٥٠).

فبلغ من حمق هذا المعلم وغفلته أن يضرب تلميذه لا لذنب أذنبه، ولكن لكيلا يذنب، وتلك مبالغة محدثة للفكاهة. فالجهل وادعاء العلم والغفلة والحماقة تتنافى مع قيم المجتمع ومعاييره، وتقف حجرة عثر في تقدمه ونموه، نالت النصوص الفكاهية لابن الجوزي الصفات السلبية في مجتمعه في محاولة لنقدها وإصلاحها.

يتبين لنا مما سبق تميّز النص الفكاهي بتعدد الخصائص المولّة للإضحاك؛ مما يدل على قدر واضح من الإبداع، ووعي وقصديه من المبدعين؛ الأمر الذي انعكس على المتعة الفنية التي يشعر بها المتلقي جرّاء تنوع الأشكال والأنماط التي تظلل النصوص الفكاهية، فتتحقق الفكاهة والترويح على النفس، وفي الوقت ذاته لا تهمل الفائدة والقيمة والعبرة والعظة؛ بما يحقق الجوهر النفعي للنص الأدبي عامة، ولعل هذا ما يفسّر إسهام عالم جليل مثل ابن الجوزي في هذا المضمار دون تحرّج منه أو استياء من معاصريه أو تابعيه.

*****

الخاتمة:

مما سبق يتبين أن هدف ابن الجوزي من كتابه (أخبار الحمقى والمغفلين) بجانب الترويح عن النفس كان هدفا وعظيا اجتماعيا إصلاحيا، بدليل أنه تعرض إلى الحمقى والمغفلين في كثير من الفئات الاجتماعية، وقد سعى ابن الجوزي من خلال الالتفات إلى المشكلات الاجتماعية والمجتمعية بأسلوب فني ضمني يحقّق المتعة والترويح عن النفس ظاهريًّا، ويسهم في توجيه المجتمع إلى الأفضل ثانيا.

وقد نال الوعظ النصيب الأكبر من أغراض ابن الجوزي الفكاهية، يليه إصلاح المجتمع، ولعل ذلك عائد إلى أن ابن الجوزي عالم دين في المقام الأول أنذر نفسه للدعوة إلى دين الله بكل ما أوتي من حكمة وموعظة حسنة، فوجد في الفكاهة أسلوبا يحمّله ما يريد من مضامين ودلالات، ولعل التفات ابن الجوزي إلى هذا الجانب النفعي والاهتمام به يعود إلى محاولة الحفاظ على مكانته العلمة الرصينة؛ إذ لا ننسى في هذا الصدد إبداعه مؤلفات وجّهت في الأساس لإرشاد المتلقي إلى الطريق القويم، وتحذيره مما قد يؤثّر سلبا على إيجابية أسلوبه الحياتي، ومنها: القصاص والمذكرين، وتلبيس إبليس... يضاف إلى هذا تجنّب ابن الجوزي النوادر التي تخدش الحياء، أو مفرطة الصراحة، والتي تواترت بكثرة لافتة عند الجاحظ، وأبي منصور الآبي، وابن قتيبة الدينوري، وأبي حيان التوحيدي... وغيرهم.

وفي ذلك تبدو خصوصية النص الفكاهي عند ابن الجوزي، وفي الوقت ذاته دعا إلى تهذيب الأخلاق، وإصلاح المجتمع منوّهًا إلى مشكلات عصره الاجتماعي دعوة إلى الإصلاح والتقويم، وهو في هذا وذاك لم يتخل عن المتعة والإضحاك في نصوصه الفكاهية متنوعة الأشكال والمضامين، كما ارتكز ابن الجوزي على عدد من الأساليب في صياغة نصوصه الفكاهية، فنجد حضورا لافتا للتخيل الإبداعي، ويليه التصور الواقعي، بينما قلّ التخيلي الذي يتجاوز حدود المألوف.

كما تبين لنا من دراسة نماذج الشخصية في النص الفكاهي، أن تصوير الشخصية وفق ما تقوم به من أدوار كان مختلفا ومتنوعا باختلاف فئات المجتمع وتنوعها؛ مما أضفى التنوع

والمنطقية النسبية في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)؛ مما يتلاءم بذلك مع طبيعة الحياة نفسها التي طبعت على التنوع والاختلاف.

وأن النماذج التي رصدها ابن الجوزي هي نماذج سلبية من الزاوية الاجتماعية أراد ابن الجوزي من خلالها التنفير منها، والتحذير من صحبتها، وبيان ضررها على الفرد والمجتمع، كل ذلك بأسلوب فكاهي، كما تنوعت الأشكال القصصية الفكاهية في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) بين خبر، ونادرة، وحكاية فكاهية، إضافة إلى وجود مواضع للتشابه وأخرى للاختلاف بينها.

كما اتّضح ارتكاز ابن الجوزي على النادرة والخبر الفكاهيين كثيرا؛ مما يؤكد الجانب النفعي الوعظي الاجتماعي لكتابه، فلم يهدف منه الفكاهة والإضحاك فقط، بل أيضا الوعظ والإصلاح، وأخيرا لقد تميّز النص الفكاهي عن غيره من النصوص بعدد من السمات، وهي: البساطة، والإيجاز، والمفارقة، والمبالغة، وكذلك النقد الاجتماعي، وكان لها دور بارز في إنتاج الفكاهة الهادفة إلى النهوض بالمجتمع عن طريق إصلاحه، دونما طمس للجانب الفني الإبداعي.

*****

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

القرآن الكريم.

التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج١، ١٩٩٧م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م.

الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٤، دار صادر، ط.٤، بيروت، ٢٠٠٥ م.

ثانيًا: المراجع العربية:

أبو الطيف، فيصل، الحمق والجنون في مرايا الأدب العربي القديم، مجلة اللغة العربية، ع ٣٩، الجزائر، ٢٠١٨م.

جبار، سعيد، الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط.١، ٢٠٠٤م.

الحوفي، أحمد، الفكاهة في الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٦م.

خمري، حسين، فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٢م.

السعافين، إبراهيم، أصول المقامات، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط.١، م١، ١٩٨٧م.

شرف، عبد العزيز، الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط.١، القاهرة،١٩٩٢م.

صيداوي، رفيف رضا، الرواية العربية بين الواقع والتخييل، ط.١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٥م.

ضيف، شوقي، الفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط.٣، ١٩٤٣م.
طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية، مصر، ط.١، ١٣٩٨هـ.
طه، وديعة النجم الفكاهة في الأدب العباسي، مجلة عالم الفكر، مج١٣، ع٣، ١٩٨٢م.
عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.٢، ١٩٨٤م.
عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، د. ط، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م.
الغزالي، عبد الله، المكونات السردية للخبر الفكاهي دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، مجلة التراث العربي، ع ٩٠، ٢٠٠٣م.
فريحة، أنيس، الفكاهة عند العرب، مكتبة رأس بيروت، بيروت، ط.١، ١٩٩٢م.
قزيحة، رياض، الفكاهة والضحك في التراث العربي والمشرقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط.١، ١٩٩٨م.
مسكين، سعاد، خزانة شهر زاد، الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة، رؤية القاهرة، ط.١، ٢٠١٢م.
النجار، محمد رجب، التراث القصصي في الأدب العربي القديم، ط. دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥م.
هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٣م.
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط.٢، ١٩٨٤م.
يقطين، سعيد، الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.١، ١٩٩٧م.

ثالثًا: المراجع المترجمة:

برغسون، هنري، الضحك، ترجمة سامي دروبي، وعبد الله الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

*****